العلاج بالدراما ودوره في الحد من السلوك الانسحابي لدى الأطفال مرضى السرطان
دراسة تطبيقية

د. شرين مصطفى السيد عباس*

المستخلص

يعتبر العلاج الدرامي واحدًا من أهم الوسائل التي يتم توظيفها حديثًا في مجال الدعم النفسي وتعديل السلوك، حيث تعرفه الجمعية البريطانية للمعالجين بالدراما The British Association of Drama therapists بأنه مجموعة من الوسائل التي تساعد على الفهم والتخفيف من المشكلات النفسية والاجتماعية، والاضطرابات العقلية، كما تيسر من التعبير الرمزي الذي خلاله يمكن للمريض الاقتراب من ذاته سواء أكان فردًا أم جماعة بوساطة المواقف الإبداعية المتضمنة للتواصل بالصوت والجسد"

فالطفل المصاب بالسرطان يعاني من آثار نفسية سلبية قد تفوق معاناة الكبير، حيث تنعكس الآثار السلبية على قدرات الطفل الإدراكية والمهارية بصورة تجعله يميل للعزلة الاجتماعية فيصاب بالاكتئاب والقلق والخوف وعدم تقدير الذات والشعور بالدونية والاعتمادية ، مما يحتم على القائمين على علاج الطفل ورعايته عدم الاكتفاء بالأدوية والعقاقير الكيميائية وغيرها، بل يجب توظيف أساليب علاجية تتخذ من الفنون وسيلة لمنح الطفل فرصة للتصالح مع نفسه ومن ثم مع الحياة ، وهو ما يمكن أن يحققه العلاج الدرامي لما يتمتع به من أساليب إبداعية متنوعة تسعى الدراسة إلى توظيفها لتجعل الطفل يدرك الرسالة الكامنة في محنته ، وينطلق خلالها ليخلق دعمًا لذاته يمنحه القدرة على مواصلة الحياة عن طريق الاستبصار واستنتاج المنحة ، وذلك خلال تجسيد معطيات الأزمة في نماذج فنية يستوعبها الطفل ، ويدرك مضامينها سعيًا لمنحه القدرة على اكتشاف الإيجابيات التي تجعله يتذوق السعادة مهما كان حجم الألم عن طريق تعديل اتجاهه ونظرته من السلبية إلى الإيجابية للشيء نفسه ، فما كان مكروهًا يتحول إلى مقبول ، بالرغم من احتفاظه بالخصائص نفسها .

الكلمات المفتاحية : العلاج بالدراما – السلوك الانسحابي – الأطفال مرضى السرطان – الجروتيسك

Drama therapy and its role in reducing withdrawal behavior Children with cancer
An Empirical Study

Dr. Sheren Mostafa Alsayed Abas

Abstract

Drama therapy is considered one of the most important methods that are employed recently in the field of psychological support and behavior modification, as the British Association for Drama therapists defines it as "a group of means that help to understand and alleviate psychological and social problems, and mental disorders, as well as Facilitation of symbolic expression through which the patient can approach himself, whether an individual or a group, through creative attitudes that include communication with voice and body. A child with cancer suffers from negative psychological effects that may outweigh the suffering of an adult, as the negative effects are reflected on the child's cognitive and skill abilities in a way that makes him tend to social isolation, causing depression, anxiety, fear, lack of self-esteem and a feeling of inferiority and dependence, which makes it necessary for those in charge of treating and caring for the child not to be satisfied with medicines and drugs It is necessary to employ remedial methods that take the arts as a means to give the child an opportunity to reconcile with himself and then with life, which can be achieved by dramatic treatment because of its Various creative methods that the study seeks to employ to make the child realize the message inherent in his ordeal, and through it he sets out to create self-support that gives him the ability to continue life by foresight and inferring the grant, through the embodiment of the crisis data in artistic models that the child

◆ مدرس علوم المسرح - قسم العلوم الأساسية – كلية التربية للطفولة المبكرة

absorbs, and realizes its implications in an effort to give him the ability to discover the positives Which makes him taste happiness, regardless of the size of the pain, by adjusting his direction and view from negative to positive for the same thing, so what was hated turns into acceptable, although it retains the same characteristics.

Keywords: Drama Therapy - Withdrawal behavior - Children with cancer - Grotesque.

مقدمة

يعتبر العلاج الدرامي واحداً من أهم الوسائل التي يتم توظيفها حديثًا في مجال الدعم النفسي وتعديل السلوك، حيث تعرفه الجمعية البريطانية للمعالجين بالدراما The British Association of Drama therapists بأنه مجموعة من الوسائل التي تساعد على الفهم والتخفيف من المشكلات النفسية والاجتماعية، والاضطرابات العقلية، كما تيسر من التعبير الرمزي الذي خلاله يمكن للمريض الاقتراب من ذاته سواء أكان فرداً أم جماعة بوساطة المواقف الإبداعية المتضمنة للتواصل بالصوت والجسد"(١)

فالطفل المصاب بالسرطان يعاني من آثار نفسية سلبية قد تفوق معاناة الكبير، حيث تنعكس الآثار السلبية على قدرات الطفل الإدراكية والمهارية بصورة تجعله يميل للعزلة الاجتماعية فيصاب بالاكتئاب والقلق والخوف وعدم تقدير الذات والشعور بالدونية والاعتمادية ، مما يحتم على القائمين على علاج الطفل ورعايته عدم الاكتفاء بالأدوية والعقاقير الكيميائية وغيرها، بل يجب توظيف أساليب علاجية تتخذ من الفنون وسيلة لمنح الطفل فرصة للتصالح مع نفسه ومن ثم مع الحياة ، وهو ما يمكن أن يحققه العلاج الدرامي لما يتمتع به من أساليب إبداعية متنوعة تسعى الدراسة إلى توظيفها لتجعل الطفل يدرك الرسالة الكامنة في محنته ، وينطلق خلالها ليخلق دعمًا لذاته يمنحه القدرة على مواصلة الحياة عن طريق الاستبصار واستنتاج المنحة ، وذلك خلال تجسيد معطيات الأزمة في نماذج فنية يستوعبها الطفل ، ويدرك مضامينها سعيًا لمنحه القدرة على اكتشاف الإيجابيات التي تجعله يتذوق السعادة مهما كان حجم الألم عن طريق تعديل اتجاهه ونظرته من السلبية إلى الإيجابية للشيء نفسه ، فما كان مكروهًا يتحول إلى مقبول ، بالرغم من احتفاظه بالخصائص نفسها .

ولتتمكن الدراسة من تحقيق أهدافها قدمت مشروعًا فنيًا قائمًا على العلاج الدرامي تم تنفيذه مع مجموعة من الأطفال مرضى السرطان عددهم (خمسة عشر) طفلا من عمر (١٢:٦) عامًا وذلك في مستشفى سرطان الأطفال ببرج العرب محافظة الإسكندرية التابع لجامعة الإسكندرية، حيث تم توظيف فنون المسرح بلغاته المتنوعة كالتقليد والمحاكاة وتوظيف الدمى والأقنعة ولعب الأدوار والموسيقى والأغاني وغيرها من التقنيات المسرحية، التي استخدمت بوصفها فنيات في مجال التدخل العلاجي الدرامي.

فضلًا عن ذلك فقد اهتمت الدراسة بتوظيف فن الجروتيسك Grotesque في تجسيد بعض من المفاهيم والأفكار التي تستهدف تعديل وجهة نظر الأطفال، لما يتسم به هذا الفن من أساليب إبداعية أهمها ثنائية الرائع والمشوه، والفكر والفرجة التي ساعدت الدراسة في هدم أسطورية المرض خلال تحويله إلى تجسيد فني ساخر بهدف الدعم النفسي والاجتماعي للأطفال خلال التفاعل في لعبة مسرحية متنوعة التقنيات.

قدمت الدراسة هذا المشروع باعتباره واحداً من أساليب توظيف الفنون في الدعم النفسي والاجتماعي لأصحاب الأزمات، وذلك ضمن متطلبات الحصول على الزمالة العالمية في الطب

(١) مقتبس في: كمال الدين حسين (د) " الدراما والمسرح في العلاج النفسي " (القاهرة، دار المعارف، ٢٠١٥)، ص٣٥

للعلاج بالفن [٢] : Art in Medicine fellow ship 2022 Global cohort وقد استغرق المشروع ثلاثة أشهر لتحقيق أهدافه.

أهمية الدراسة:

تمثل هذه الدراسة مشروعًا تطبيقيًا في مجال العلاج بالفن، يمكن أن يستعين به العاملين في المؤسسات والهيئات المعنية برعاية الأطفال مرضى السرطان والقائمين عليهم، خلال توظيف الدراما بوصفها أسلوبًا فنيًا علاجيًا لتقديم الدعم النفسي الاجتماعي بهدف مساندة الطفل، ومنحه فرص لتحقيق المتعة التي تجعله أكثر قدرة على مواجهة الأزمة والتخلص المرحلي من السلوك الانسحابي.

مشكلة الدراسة:

لاحظت الدراسة خلال الاطلاع على السجلات الخاصة بالأطفال -عينة الدراسة- أن لديهم قصور دال في مهارات التفاعل، مما أدى إلى السلوك الانسحابي، ومن ثم سعت الدراسة إلى تفعيل العلاج الدرامي خلال توظيف عدد من التقنيات المسرحية لتقديم الدعم النفسي الاجتماعي لهم، خلال تحقيق الاستبصار والاكتشاف لماهية الأزمة بهدف تحجيمها، واستنباط السعادة من المعاناة.

وتطرح الدراسة تساؤلات عدة في محاولة للإجابة عنها خلال رحلتها البحثية وذلك على النحو الآتي:

- كيف تؤثر سمات الأطفال مرضى السرطان في تكوين السلوك الانسحابي لديهم؟
- ما مدى ملائمة العلاج الدرامي لتحقيق التفاعل الاجتماعي للأطفال مرضى السرطان؟
- كيف وظفت الدراسة فنون المسرح المتنوعة في العلاج الدرامي للحد من السلوك الانسحابي لدى عينة الدراسة؟
- إلى أي مدى حقق فن الجروتيسك هدم أسطورية الأزمة؟
- هل تمكنت فنون المسرح ولغاته من تحقيق الاستدامة ونقل الخبرة للقائمين على الأطفال عينة الدراسة؟

منهج الدراسة:

استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وكذلك المنهج التطبيقي لملاءمتها لموضوع الدراسة.

(سمات الأطفال مرضى السرطان وأثرها في التفاعل الاجتماعي)

مرض السرطان من الأمراض التي تؤثر بشكل سلبي في الحالة النفسية للمريض عامة والطفل خاصة، فالطفولة هي مرحلة الانطلاق واللعب وتكوين الشخصية خلال التفاعل الإيجابي بحثًا عن المعرفة والتطور، إلا أن الإصابة بالسرطان تحول هذه المرحلة إلى حالة من الانسحاب والرفض والعجز، فنجد الطفل لديه شعور بالفقد وتهديد شبح الموت، فيسيطر عليه الخوف والإحباط، فتتحول حياته إلى العبث واللا جدوى، هذه المعاني لا يمكن له التعبير عنها وإدراك مضامينها، يترجمها خلال سلوكه الانسحابي، حيث " يشعر الأطفال أنهم دون غيرهم

(2) https://www.artsinmedicinefellowship.com

يواجهون مشكلة ما ولا يوجد من يؤيدهم، فهم غير قادرين على مواجهة تلك الصعوبات، مما يؤدي إلى انخفاض مفهوم الذات لديهم"[٣]

فإحساس الطفل بأنه مصاب بهذه الكارثة دون ذويه يجعله يشعر بالاختلاف وعدم الانتماء لمن حوله، بالرغم من محاولة الأسرة دعمه والعناية به، إلا أن الخوف الزائد ونظرات اليأس والسخط أحيانًا تعمل على تضخيم المشكلة وتعزيزها لديه، حيث تتكون تصورات سلبية تمنعه من التمتع بالحياة ورفضها، فضلًا عن تأثير حالة الوهن التي تنعكس على درجة تقبله لذاته ومن ثم حالة العزلة والانفصال، التي تؤدي إلى الميل للسلوك الانسحابي مما يستدعي التعامل مع هذه الحالة بحرص، خلال تفعيل أفكار فنية يقضي معها الطفل أوقاتًا من اللعب دون إشعاره بوهن قوته.

" كما يؤثر العلاج الكيميائي في الطفل بشكل كبير، حيث يغير من شكله سقوط الشعر وتغير لون البشرة، وحدوث تغيرات في الجهاز العصبي" [٤] ويرى (فريل) Ferrell " أن هذه الأعراض يصاحبها مشكلات جسدية لاحقة تؤثر في القدرة والنشاط ومتطلبات الحياة، كافة فضلًا عن الشعور بالألم والإرهاق العام"[٥] مما يدعم السلوك الانسحابي لديهم في حين تتنوع أسباب السلوك الانسحابي لدى الأطفال عامة، حيث " التنشئة الاجتماعية الخاطئة والخبرات المؤلمة، والخوف من الآخرين، والافتقار إلى مهارات الاتصال وغيرها"[٦] لكن السلوك الانسحابي لدى الطفل مريض السرطان ناتج عن الإصابة بالمرض نفسه، فقد يكون الطفل قبل إصابته بالمرض ينعم بالحياة وممارسات الأنشطة المختلفة، وبذلك يكون تأثيره أكثر خطورة لأنه يعد هروبًا من الواقع بشكل مدرك، فالطفل هنا يلجأ إلى الانسحاب والعزلة بمحض إرادته وكأنه يعاقب ذاته على ذنب لم يقترفه.

مما يستدعي تقديم أساليب إبداعية غير مباشرة تمكن من الولوج إلى عقل الطفل وإدراك معاناته، ومن ثم مناقشتها ومواجهتها خلال تفتيتها إلى جزئيات يمكن التعامل مع كل منها على حدي وصولا إلى أفكار جديدة ترضي الطفل وتدعمه.

كما يؤثر سرطان الأطفال على عملية التحصيل الدراسي، حيث" ينخفض مستوى التحصيل الدراسي لدى الطفل بسبب انخفاض مستوى الذكاء، كما أن ظروف الأطفال الصحية تجبرهم في بعض الأحيان على الانقطاع عن المدرسة وعدم القدرة على التحصيل الدراسي"[٧] فالتأخر الدراسي قد يكون أهم الأسباب التي تؤدي إلى السلوك الانسحابي، خاصة إذا كان الطفل متفوقا دراسيًا قبل الإصابة بالمرض، مما يتطلب التعامل مع هذا المتغير بطرق أكثر وعيًا تعمل على منحه طاقة من الأمل والإصرار خلال إقناعه بإمكانية المتابعة، واستكمال ما فاته في وقت لاحق.

فلابد أن تكون المؤسسة التعليمية على وعي بطبيعة الطفل، وتسعى لتقديم الدعم بالصورة الملائمة، خلال " إقناع الطفل بوجود بعض الأشخاص الذين يمكن أن يثق بهم ويتركون لديه انطباع من الود والمحبة، ومن ثم يمكنه اللجوء إليهم"[٨]

---

(3) Peter son, C.M.B. et, al (2002) Country Living Isolation Issues University of Minnesota, Ex tension service Number 983.p:67

(4) Ferrell, b (1997) Quality of life A moong long term cancer survivors Diss. Int, Vol. llano (4): 505. 57 /p:57

(٥) نفسه، ص٧٧.

(٦) عماد عبد الرحمن زغلول " الاضطرابات الانفعالية والسلوكية لدى الأطفال" (الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦) ص ١٥٩

(٧) نفسه، ص١٦٨

(٨) دعاء عبده عبد الوارث " فاعلية برنامج إرشادي عقلاني انفعالي في تحسين التأثيرات النفسية والمعرفية والاجتماعية لدى عينة من الأطفال مرضى السرطان" (القاهرة، مجلة القراءة والمعرفة، ع ١٢٧، ٢٠١٢) ص ٢٣

فهذا الطفل له احتياجات خاصة حتى يتمكن من ممارسة الحياة بصورة طبيعية، حيث يتطلب الأمر التعامل معه بطرق خاصة ليس بهدف التغلب على المعوقات أو التخلص منها، بل لتقليص حدتها وتأثيرها لتحرير الطفل من انعكاساتها السلبية بصورة تدريجية.

(العلاج الدرامي وملاءمته للحد من السلوك الانسحابي لدى الأطفال مرضى السرطان)

كي تتمكن الدراسة من تقديم الدعم النفسي للأطفال -عينة الدراسة – قامت بتوظيف العلاج الدرامي باعتباره وسيلة لمداواة النفس وتخفيض المعاناة، خلال تكوين الثقة مع المريض للحد من القلق والتوتر والضغط، فيتحول الأمر من مجرد تخطٍ للشعور السلبي إلى استعادة القدرة على التواصل مع الآخرين والتفاعل الإيجابي.

" فالعلاج الدرامي له دور فاعل مع الأشخاص المنطوين المنسحبين عن الحياة الاجتماعية، ولديهم علاقات مشوشة مع الآخر بسبب مرورهم بأحداث سيئة، وهنا يعمل العلاج الدرامي على مساعدتهم للتخلي عن هذا السلوك ومن ثم التفاعل الاجتماعي"[٩] فالطفل مريض السرطان لديه مشاعر مكبوتة لم يتمكن من التعبير عنها، فتسببت له في حالة من العزلة وهنا يأتي دور العلاج الدرامي في " إطلاق العنان للعواطف التي لم تجد لها في الحياة العادية متنفسًا، فتجد سبيلها في الظهور عن طريق التمثيل وحرية التعبير خلال اللعبة المسرحية، ومن ثم يستطيع العيش بشكل متوازن في بيئته"[١٠]

فالعلاج الدرامي يتمتع بأساليب متنوعة تمكن الطفل من خوض تجربة فنية وفق قدراته وميوله، مما يساعده على اكتشاف الواقع خلال مفردات جديدة تعمل على زيادة وعيه بذاته وبمعطيات واقعه الجديد، حيث يعتبر وسيلة لتعزيز المهارات الاجتماعية عبر تقنيات مسرحية متنوعة تراعي الفروق الفردية، فضلا عن تمكينه من خوض تجربة فنية مستوحاة من الواقع يستبصر خلالها ما كان يجهله وتمكنه كذلك من وضع بدائل، والتعبير الحر عن وجهة نظره وصولا إلى المفهوم الذي يرتضيه بما يتفق والواقع المعيش، ليس هذا فحسب، بل منحه فرصة لاكتشاف نقاط القوة والضعف لديه حتى يتمكن من تقدير ذاته، واكتشاف الآخر وإيجاد نقاط مشتركة بينهما، ومن ثم التحرر التدريجي من السلوك الانسحابي، فيكون أكثر قدرة على التفاعل الاجتماعي، حيث" يتفاعل الأشخاص مع بعضهم البعض مما يجعلهم مرتبطين في علاقاتٍ معينة، ويكون كل منهم على وعي بدوره في الجماعة ودور أقرانه، ويكونون تصورًا مشتركا لمجموعتهم، ويؤثر كل منهم في الآخر ويتأثر به"[١١]

وهو ما يحققه العلاج الدرامي، حيث يعمل على إيجاد حدث فني يجمع الأطفال بشكل غير مباشر خلال تقنيات فن المسرح التي تتطلب التكامل ولعب الأدوار واكتمال المتعة خلال التفاعل بين أفرادها.

يؤكد (أحمد صقر) " على أهمية المسرح لتعديل سلوك الطفل خلال أساليب غير مباشرة تسعى إلى ترسيخ قيم وتنمية قدرات واكتساب مهارات أكثر مما قد تحققه الطرق المباشرة"[١٢]

---

(٩) حسن مصطفى عبد المعطي " الاضطرابات النفسية في الطفولة والمراهقة" (القاهرة، الأنجلو المصرية، ٢٠٠٣) ص٢٥

(١٠) جرترود دريسكول " كيف تفهم سلوك الأطفال" ت: رشيد خام منصور (القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٤) ص٢٦

(١١) كمال الدين حسين (د)" مدخل في العلاج بالدراما" (القاهرة، المجلس العربي للطفولة والتنمية، مجلة الطفولة والتنمية ع ٦، ٢٠٠٢) ص ٢١

(١٢) أحمد صقر(د)"مسرح الأطفال" (الإسكندرية، مركز الكتاب،٢٠٠٤) ص٣٢

وبذلك يكون العلاج الدرامي أكثر فائدة للمرضى إذا تم تفعيله داخل دور الرعاية، حيث يسمح للمريض المشاركة الفاعلة في جلسات العلاج التي تحقق التوازن بين الخيال والوقع.

أساليب العلاج الدرامي:

بني العلاج الدرامي على منهج للفعل العقلي يمنح صاحب الأزمة خطوات لتحليل أزمته وصولا للسلام النفسي خلال الإقناع.

ولتوضيح ذلك يضرب لنا (هيمي ويز) Hemi Wyse مثالًا " لنفرض أن شخصًا نائمًا بعمق ثم سمع صوتًا غريبًا، فأصابته الدهشة، وتساءل عن مصدر الصوت عندها بدأ العقل يبحث عن إجابة، وبعد تداعي الكثير من الأفكار قرر الذهاب لمعرفة مصدر الصوت لكن بحذر وعندها، اكتشف أن الصوت يصدر من نافذة دورة المياه المفتوحة فيغلقها، ويعود للنوم هادئًا، لأن مصدر الصوت أصبح له معنى"(١٣)

وبإسقاط معطيات المثال السابق على حالة الطفل عينة الدراسة لاتضح لنا الآتي:

- كان الطفل قبل إصابته بمرض السرطان يحيا حياة طبيعية تحمل الفرح واللعب والألم، وهو ما يعبر عنه النوم العميق المستقر.
- هاجم الطفل المرض فقلب استقراره إل توتر وفزع، وهو ما يعبر عنه الصوت المزعج مجهول المصدر.
- يصاب الطفل بحالة من الفكر والتساؤل، ويكون أسيرًا مع ذاته يصارع أمرًا لا يدرك أسبابه، وتبدأ الأفكار تتداعى، ويزداد الأمر سوءًا كلما كان الطفل مدركا لحجم التأثير السلبي لما حل به، فلا يتمكن من التعامل مع الموقف متفردًا أو بالأساليب التقليدية، وهنا يأتي العلاج الدرامي، حيث تعمل على مساعدته كيفية التعامل مع هذا المرض، خلال تحويله إلى فكرة يمكن التعايش مع الحياة خلالها عندما يتمكن من الاستبصار، واكتشاف مجاهلها بطريقة تتناسب ومرحلته العمرية وقدراته على الوعي والإدراك، وهو ما يعبر عنه إدراك مصدر الصوت.

فمرور الطفل بالخطوات السابقة يمكن من الفهم والوعي، خاصة إن ذلك يتم خلال توظيف الحواس التي هي نوافذ المعرفة، فضلا عن كونها وسيلة التعبير عن المشاعر والانفعالات المكبوتة.

الاستبطان / الاستبصار في العلاج الدرامي: Introspective Methodology

يستخدم هذا المنهج في العلاج الدرامي ويتميز عن غيره في الأساليب العلاجية الأخرى كونه يستهدف الفهم والوعي عن طريق إيجاد إجابات أو حلول منطقية مقنعة، ويقصد به " فعل إبداعي يعمل على تعميق الوعي لدى الفرد بالعالم من حوله وبذاته وبالآخر"(١٤)

فالفهم والوعي يعمل على احترام الفرد لذاته والآخر، ويجعله يؤمن بالاختلاف، حيث يؤكد أن لكل فرد حياته الخاصة، التي لا تنطبق مع الآخر بشكل أو بآخر، وهو ما يحتم علينا عدم مقارنة شخص بآخر الذي يعد هدفا رئيسًا من أهداف العلاج الدرامي، الذي يحقق له الشعور بالتفرد والتميز، لأنه يتملك أمرًا قد لا يتملكه غيره، فضلا عن أن الأحداث في حياته مهما تشابهت البدايات لن يكون هناك حتمية في تطابق النهايات، وهو ما يمكن الإفادة منه في بث الأمل والشعور

(13) Hemi Wyse. Drama Therapy: Its method and meaning drama therapy. Journal. VSN2 Autumn 1981, p:30

(١٤) نفسه ص٣٢

بالاستقرار، ومن ثم يكون العلاج الدرامي " يتيح للمريض خلال الأساليب الدرامية استبصار الانفعالات في مكان ما وفي زمان ما بين الواقع والخيال داخل مواقف اجتماعية"(١٥)

فعملية الاستبصار والاكتشاف، وتحقيق الوعي لدى الطفل تتطلب الانطلاق من المؤرق الأساسي، ومصدر الانسحاب المتمثل في الشعور بالألم الذي يسببه المرض وجرعات العلاج، مما جعل الدراسة تأخذ بعين الاعتبار فلسفة الألم وماهيته حتى تتمكن من اختراقه، ومن ثم التعامل مع معطياته، بهدف دعم الطفل والتخفيف عنه، " فالألم هو الوجع وعند الفلاسفة حالة نفسية يصعب تعريفها تتميز بإحساس مادي أو معنوي بعدم الراحة أو الضيق" (١٦)

هذا الإحساس السلبي المؤذي للطفل بدنيًا ونفسيًا ينطوي على ومضة إيجابية مهما كانت خافتة، وهي إشارة البدء والانطلاقة، التي يتم الاستعانة بها لمنح الطفل معطيات إيجابية تجعله يستقبل الإحساس بالألم بشكل إيجابي يمنحه القدرة على التحمل خلال إدراكه أن هناك ألم إيجابي نافع، هو وسيلته ليتخلص من ألم سلبي ضار، فيتحول من حالة الاستسلام إلى المقاومة، وقد أثبتت الدراسات "أن مستوى الإحساس بالألم يعتمد على توقعنا له، واستعدادنا لاختباره" (١٧)

مثال ذلك خوف الأطفال مرضى السرطان من جرعة العلاج بصورة قد تفوق خوفهم من المرض نفسه، مما يستدعي توظيف العلاج الدرامي لتعديل وعي الأطفال لاستيضاح ماهية الألم الإيجابي وكيفية تطويعه لدعمهم، إدراك أهميته ودوره الرئيس في التخلص من مصدر الألم السلبي، فضلا عن تمكينهم من امتلاك طريقة مُرضية للتعامل مع الألم، وهو ما يتطلب خلق لعبة مسرحية يتم تجسيد المجاهل عبرها، ليتمكن من إدراكها، حيث يؤكد (بيتر سليد) Peter Slade " أن اللعب التمثيلي الطريقة المثلى للطفل في التفكير والتجربة والاسترخاء والتنكر والجرأة والإبداع، خاصة الموجه منه" (١٨)

وقد وظفت الدراسة تقنيات العلاج الدرامي مع الأطفال وذلك على النحو الآتي:

الحوار والمناقشة وتهيئة الطفل للعلاج الدرامي:

اهتمت الدراسة بتنفيذ بعض من الإجراءات استعدادًا لاستقبلا الأطفال – عينة الدراسة – حتى تتمكن من تهيئتهم وكسب ثقتهم، وذلك على النحو الآتي:

- اختيار مكان جيد التهوية يحتوي على مقاعد مريحة وطاولات مناسبة للقيام بالأنشطة المسرحية.
- الاستعانة ببعض الأدوات كالأقلام والأوراق والبالونات وبعض الآلات الموسيقية الإيقاعية.
- تثبيت مسرح عرائس من القماش بألوان زاهية.
- عرض الدمى القفاز والورقية بصورة مبهجة لجذب الانتباه ومن ثم جعلت الدراسة مكان استقبال الأطفال يحقق الفرجة، انظر الشكل رقم (١)

وبدخول الأطفال المكان ظهرت على بعض منهم حالة من الدهشة، والتركيز بهدف استكشاف المكان وإدراك مفرداته "فالأطفال ذو قدرة بارعة على التعلم وبوسعهم التعرف إلى الموجودات من حولهم، خلال الملاحظة والاستقراء، خاصة من الأشياء التي تحدث أفعالا غير متوقعة" (١٩)

(١٥) نفسه ص٥٢

(١٦) كمال الدين حسين (د) " الدراما والمسرح في العلاج النفسي" سبق ذكره، ص٥٤

(١٧) محمد السقا عيد " هل الألم شر محض؟" https//: Islam online .net

(١٨) بيتر سليد "دراما الطفل"، ت: كمال زاخر لطيف، (الإسكندرية، منشأة المعارف،١٩٨١) ص١٤

(١٩) أيمن شتال "الدهشة تدفع الأطفال للتعلم" سكاي نيوز عربية ٢٠١٦ https//:sky news Arabia .com

وخلال مراقبة الأطفال، ورصد حركاتهم لاحظت الدراسة أن بعضًا منهم لم يهتم كثيرًا بما حوله، فبدأت تصدر أصواتًا مجهولة المصدر تثير الضحك، فبدأ الأطفال يستجيبون لتلك الأصوات والبحث عن مصدرها.

توظيف الدمى في تهيئة الطفل للعلاج الدرامي:

تعد الدمية وسيلة فاعلة عند استخدامها لتقديم العلاج العاطفي أو الجسدي أو إعادة التأهيل، حيث:

"يجمع فن الدمى بين التعبير عن المشاعر والأحاسيس والانفعالات بشكل لفظي أو غير لفظي خلال عناصره الدرامية" (٢٠)

"فالدمية تعمل على مساعدة المريض الخائف أو الحزين أو المحبط واحتوائه، فضلًا عن فهم الإجراءات كافة التي يتعرض لها بشكل أفضل"(٢١) فعملت الدراسة على توظيف الدمية بهدف اختراق عالم الأطفال وزلزلة مخاوفهم خلال استخدام دمية على هيئة طبيب صممت خصيصًا لهذا الهدف، فعادة ما يصاب الأطفال بالخوف والقلق من الطبيب، فقد يكون سبب ذلك ارتباطه بالألم الذي قد يشعر به الطفل عند الذهاب إليه، فضلًا عن الخبرات المختزنة التي تسبب بها الأهل، خلال التهديد بالذهاب إليه عند ارتكاب الأخطاء باعتباره عقابًا، تلك الخبرات تؤثر على الطفل عامة فما بالنا والطفل مريض السرطان الذي أصبح الطبيب جزءًا من حياته، فيتحول الطبيب إلى مثير للألم، خاصة إذا كان لا يمتلك مهارات اكتساب ثقة الطفل وحبه.

فجاء توظيف الدراسة للدمى على النحو الآتي:

- أكسبت الدراسة دمية الطبيب ملامح حنونة محببة للطفل، كما منحتها صوتًا يثير الابتسامة. انظر الشكل رقم (٢)

تبدأ دمية الطبيب بإلقاء التحية على الأطفال، فكان ردهم عليها فاترًا في بداية الأمر، فعملت الدمية على إثارة حماسهم خلال استثارة الطفولة الكامنة خلف الألم، مثال ذلك:

دمية الطبيب: أهلا بكم يا أبطال أنا الدكتور الطيب حبيب الأبطال
يا ترى مبسوطين أني معاكم النهاردة؟

وبتحليل كلمات الدمية التي بدأت بالترحاب مع ذكر كلمة أبطال، التي تعد كلمة داعمة ومحفزة ذاتيًا، ثم يتبعها عبارة

(أنا الدكتور الطيب حبيب الأبطال) حيث تبدأ العبارة بكلمة (دكتور) وهي لفظة ذات تأثير سلبي لديهم إلا أن ارتباطها بكلمة (الطيب) بمثابة لفت انتباههم لهذا النموذج الذي يحتاجون إليه في الواقع، وتأتي عبارة (حبيب الأبطال) بوصفها عقد اتفاق أن هذا الحب يستحقه من يتمتع بصفة البطولة، وتنهي الدمية كلماتها بسؤال (يا ترى مبسوطين أني معاكم النهاردة؟) فجاء السؤال بمثابة وسيلة لكشف علاقة الأطفال بشخصية الطبيب باعتبار الدمية علامة أيقونية لشخصية الطبيب في واقع كل طفل، وقد لاحظت الدراسة استجابة الأطفال للرد على سؤال الدمية، فمنهم من أجاب بنعم وترى الدراسة أن هذه الإجابة تعبر عن رغبة الطفل في اللعب والاستمتاع باعتبار السائل دمية ليس أكثر.

أما البعض الآخر فلم يستجب للسؤال والتزم الصمت مع تثبيت النظر على الدمية، هذه الاستجابة السلبية نقلت للدراسة معلومات حول ماهية العلاقة بين بعض الأطفال وشخصية الطبيب.

---

(٢٠) أبو الحسن سلام(د) "مسرح الطفل" (الإسكندرية دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ٢٠٠٤) ص٣٢

(21) American Academy of pediatrics (2012) patties, and family centered care and the pe dietician, srole126(2)p:394

فعملت الدراسة على توظيف دمية الطبيب باعتبارها نموذجًا محفزًا للأطفال لخلق قنوات الثقة بينها وبينهما، فبدأت الدمية تحكي قصتها في مرحلة الطفولة، حيث كانت / الدمية مصابًا بمرض السرطان، ولكنه تمكن من الانتصار عليه، وتفوق في دراسته وأصبح طبيبًا يساعد الأطفال على محاربته والانتصار عليه، فتحولت قصة الدمية / الطبيب إلى طاقة أمل وتحد، جعلت الأطفال ينظرون له نظرة جديدة مبنية على اقتناعهم أن ذلك الطبيب / الدمية مختلف لأنه يشعر بمعاناتهم ويسعى لمنحهم تجاوزها، فكانوا أكثر ثقة وسعادة بما يقدمه خلال تحقيق الصدق الفني الذي منحهم الفرجة ومن ثم الانفراجة.

ثم تتطرق الدمية / الطبيب لاستثارة الأطفال بطرح سؤال جديد:

الدمية /الطبيب: عارفين يا أبطال أنا خفيت إزاي؟

فتتعالى أصوات الأطفال بحماس مرددين كلمة (إزاي؟) فتجيب الدمية عن السؤال خلال عبارات الدعم وبث الثقة

الدمية / الطبيب: إني أكون قوي ومبسوط وفرحان
أكون واثق إن ربنا إن ربنا قادر يشفيني
إن ألم لازم ينتهي مهما كان
أحب العلاج وأثق أنه ح يشفيني
يلا أوام قولوا معايا يا أبطال

وبالفعل بدأ الأطفال يرددون مع الدمية، عبارات الدعم وفي كل مرة تطلب الدمية منهم رفع أصواتها وأن يكونوا أكثر حماسًا، فكان ذلك بمثابة بداية تحول من حالة الانسحاب والرفض إلى التفاعل بشكل تدريجي.

- انتقلت الدراسة إلى توظيف الدمى بهدف التعارف بينها وبين الأطفال وذويهم بطريقة فنية، لتحقيق فكرة التكامل واللعب الجماعي، وقد تم ذلك على النحو الآتي:

تظهر دمية تحمل ملامح امرأة كبيرة في السن انظر الشكل رقم (٣) وتبدأ الدمية التعرف إلى الأطفال بشكل فردي خلال توجيه عدد من الأسئلة:

الدمية: أهلا بالحلوين عاوزه أتعرف عليكم واحد واحد
أعرف اسمك أجمل لون
أجمل أكله أجمل حيوان

فبدأ الأطفال الإجابة عن الأسئلة في جو من المرح، خلال حوار ارتجالي مع الدمية يحمل حسًا فكاهيًا وحقق تفتعلا فيما بينهم، ثم تطرح الدمية سؤالا جديدًا:

الدمية: يا ترى كل واحد فيكم نفسه يكون إي في المستقبل؟

فبدأ الأطفال الإجابة عن السؤال بشكل فردي، وقد كان لذلك أثرًا إيجابيًا، حيث كانت إجابات الأطفال حول مهنة المستقبل تتنوع بين طبيب، محامي، معلم، ممثل، مهندس، رسام وغيرها من المهن المتنوعة التي منحتهم طاقة من الأمل والنظرة الإيجابية للمستقبل.

ولكي تؤكد الدراسة هذا الحالة الإيجابية اتخذت من اختيار كل طفل لمهنته المستقبلية لقبًا يتم التواصل مع الطفل خلاله ومثال ذلك: باش مهندس أحمد، أستاذ مايكل، المحامية سهى، الفنان وائل، الدكتورة كريستينا، وقد استحسن الأطفال ذلك الأمر، وكان ذلك بمثابة تشجيع وإثابة على استجابتهم للحوار.

"فالتشجيع والإثابة من أهم الأساليب التي تستخدم لتعزيز ثقة الطفل بنفسه، خاصة إذا تم ذلك في الوقت الصحيح"(٢٢)

فضلا عن ذلك فقد منحت الدراسة كل طفال فرصة اختيار دمية لعقد حوار مع ذويه بهدف كسر الحواجز بينهما ومساعدته على التفاعل الإيجابي فضلا عن الحد من سلوكه

(٢٢) الجوهرة العجابي "مفهوم التشجيع" ٢٠٠٧، مؤسسة مداد https//: midad.com

الانسحابي، خلال منحه فرصة التفاعل دون الشعور بالخشية والخجل، حيث منحته الدمية حرية التعبير والانطلاق، ومن ثم اكتساب الثقة بالنفس، وهو ما يعد بداية مرضية للدراسة لتحقيق أهدافها خلال توظيف العلاج الدرامي. انظر الشكل رقم (٤).

(اللعب الإيهامي والاسقاط الدرامي)

"يوصف اللعب بأنه عمل الطفل"[٢٣] فهو نشاط مهم للأطفال يرتبط بتحقيق الصحة النفسية وجودتها، حيث "يوفر آلية المواجهة النفسية للإجهاد، ويعزز نمو المهارات الاجتماعية التي تيسر تحقيق النجاح "[٢٤] فاللعب وسيلة تساعد الطفل على اكتساب المهارات، ومن ثم النمو المعرفي، وتمنحه فرصة للنمو بشكل صحي، حيث " يشكل استخدام لعب الأطفال للمساعدة في إدارة الإجهاد بنجاح، وهو الأساس للرعاية النفسية والاجتماعية للأطفال، وأداة أساسية لتعزيز القدرة على مواجهو المصاعب"[٢٥]

فاللعب يمنح الطفل مساحة كبيرة ليدخل عوالم افتراضية تسمح له بإسقاط ما بداخله من مشاعر مكبوتة لا يمتلك القدرة ليعبر عنها في الواقع، وهنا يعد أهم أهداف اللعب، حيث يرتبط ارتباطا رئيسًا برعاية الطفل نفسيًا واجتماعيًا، باعتباره وسيلة للعلاج، حيث " يسمح للأطفال التعبير عن مشاعر غير ملائمة ومخيفة، أو عن أفكار قد تكون غير مقبولة اجتماعيًا دون نتائج سلبية"[٢٦] فمراقبة الطفل في أثناء لعبه يمكن من معرفة معلومات كثيرة حول همومه ورغباته ومخاوفه واحتياجاته ونزعاته النفسية، وعندها يمكن " استخدام تلك المعلومات لتطوير التدخلات التي يمكنها علاج احتياجات محددة ومعينة، فاللعب سياق مثالي للشفاء النفسي، ونشاط يهدف تعزيز رفاهية الأطفال النفسية وتحسين جودة الحياة في مواقع الرعاية الصحية "[٢٧] وقد فعلت الدراسة عددًا من الألعاب استهدفت خلالها توفير الدعم النفسي للأطفال، وذلك على النحو الآتي:

- **لعبة قلبي سعيد:**

في بداية الأمر قامت الدراسة بتوزيع أوراق وأقلام على الأطفال لتصميم شكل قلب مبتسم، وبعد أن قاموا بمساعدة الدراسة بتنفيذ أشكال القلوب، بدأ كل طفل يستخدم نموذج القلب الذي قام بتنفيذه، ليتحدث باسمه ويعبر عما يجعله يشعر بالسعادة، وقد لاحظت الدراسة أن إجابات الأطفال حملت صيغة التمني مثل: أتمنى أخف من الألم، أتمنى أقدر ألعب واجري زي زمان، أتمنى مخدش إبرة تاني... وغيرها من العبارات، وهنا بدأت الدراسة تتبادل الحوار مع الأطفال باستخدام نموذج القلب ذاته، في محاولة لمناقشة أحلامهم ورغباتهم، ومنحهم الدعم النفسي، وقد أكدت هذه اللعبة معاناة الأطفال النفسية بسبب الانعكاسات السلبية للحالة الصحية.
انظر الشكل رقم (٥).

(23) Montessori, M.O(1973) The Montessori Method.com bridge. MA: Bently.p:215

(٢٤) نفسه، ص٢١٨

(25) Lin.y.8 Bratton's (2015), Meta. Analytic review of child. Centered play therapy approaches.93. (1) p: 45-58

(26) Gin spurge، K.R. (2017) The psychological significance of play with imaginary .com pinions in early childhood learning and behavior, 45(4), p: 432-440.

(27) Kou Kuriakose, Tzeha,L,pantelidou,p8.Taslog Lido, A,(2015) The important of play daring hospl to clization of children Materia ,27(6) p: 438-441

- **لعبة أنا الحقنة الجميلة:**

جاء توظيف فكرة اللعبة بهدف تحويل اتجاه الأطفال السلبي تجاه الحقن إلى اتجاه إيجابي، وقد تم ذلك خلال تصميم دمية ورقية على هيئة حقنة لها أجنحة مزينة بعدد من القلوب الحمراء وتتمتع بملامح مبتسمة، تبدأ الحقنة تتحاور مع الأطفال في جو من الود والمرح وذلك على النحو الآتي:

الحقنة: أهلًا يا حلوين، عارفين أنا مين؟
أنا الإبرة الطيبة بس قلبي حزين
لإن حبايبي الحلوين مني زعلانين

فتبدأ الحقنة فتح حوارًا مع الأطفال عن أسباب غضبهم ورفضهم لها، وقد جاءت إجاباتهم على النحو الآتي:

لأنك بتوجعيني، بنخاف منك، مش بحب الإبرة ... وغيرها من الإجابات التي تتضمن المعنى ذاته فتبدأ الحقنة تبرر موقفها خلال كلمات تعبر عم مدى حبها وخوفها على الأطفال، وأن هدفها الأساسي هو سلامتهم وشفائهم من أي مرض، فتغني لهم أغنية:

الحقنة: أنا الإبرة الحبوبة عندي سنة مسنونة
أدخل جلدك كده على طول وأفرقع أي صرصور

ففي كلماتها عبرت عن سنها المدبب الذي يخترق جلد الطفل ليفجر أي صرصور، والصرصور هذا ما هو سوى الاسم الذي أطلقته الدراسة بالاتفاق مع الأطفال على مرض السرطان لتتفيه شأنه، وتحويله لشيء يثير الضحك والسخرية، انظر الشكل رقم (٦).

- **لعبة فرقع صرصور:**

هذه اللعبة بمثابة تجسيد للمضمون الذي قدمته الحقنة في اللعبة السابقة، فتجسيد ماهية الوخز لدى الطفل وتجسيد فكرة الاختراق الذي يرفضه الطفل بسبب الألم، يمارسه الطفل مع البالون ويقوم بوخزه بهدف تفجيره هذا التفجير هو ذات المفهوم الذي سعت الدراسة لترسيخه لدى الطفل فالحقن يخترق الجسد لإدخال الدواء بهدف تفجير المرض/صرصور، وهو ما جسده الطفل مع البالون، حيث تم توزيع بالونات على الأطفال وطلب منهم وخز البالون وتفجيره مع ترديد عبارة أن الحقنة هي التي فجرت صرصور، هذه الصورة المجسدة تعد وسيلة لتفريغ المشاعر المكبوتة تجاه ماهية الحقن، فضلا عن دورها في تعديل الاتجاه من السلبية إلى الإيجابية تجاه دور الحقنة ومبررات الحقن، وقد لاقى تفجير البالونات استحسانًا لدى الأطفال. أنظر الشكل رقم (٧)

- **لعبة أجمل أصحاب:**

جاءت فكرة اللعبة مبنية على الشعور بالوحدة الذي يعاني منه الأطفال ومحاولة الخروج منه، حيث منحت الدراسة الأطفال فرصة تصميم وجه مبتسم، وكل طفل يقوم بوضع قناع الوجه المبتسم على وجهه، ويبدأ في التفاعل مع أقرانه، وذلك على النحو الآتي:

- كل طفل يختار لنفسه اسما غير اسمه الحقيقي مثل: بندق، لوزه، جلجل، وغيرها من الأسماء التي تثير الضحك والبهجة.
- يبدأ كل منهم يتحدث عن الآخر خلال القناع عن طريق عدد من الأسئلة التي تطرحها الدراسة عليهم مثل:

ما أجمل شيء تراه في فلان؟ وكانت الإجابة مثل: **أنا بندق أجمل حاجه بحبها في جلجل صوته.**

- عندما طلبت الدراسة من كل طفل تقليد زميله في أمر ما مثل:

قلد صوت جلجل ، قلد مشية بندق، حيث يقوم كل طفل بابتكار صوت أو مشية بعبر بها عن الشخصية المطلوبة من وجهة نظره مما أثار السعادة والضحك بين الأطفال.
وتستمر الدراسة في طرح الأسئلة المثيرة للضحك منح اللعب جوًا من المرح والنشاط الملحوظ ومن ثم التفاعل الإيجابي، انظر الشكل رقم (٨).

- **لعبة رسمة وحكاية:**

منحت الدراسة الأطفال فرصة التعبير الحر، خلال رسم لوحة يشترك فيها مجموعة منهم، حيث تم توزيعهم في مجموعات تقوم كل مجموعة برسم أشكال متداخلة وبعد الانتهاء من الرسم يقوم كل طفل بحكي قصة مستوحاة من اللوحة، وقد تنوعت الحكايات حول الرسوم، وكان أبرز مضامينها: قصة إصابة الطفل بالمرض، إحساس الطفل بالألم، سعادة الطفل باللعب، حب الطفل لأمه، حب الطفل لبعض الأشخاص في المستشفى، انظر الشكل رقم (٩).
وتعتبر تلك الحكايات نوع من اسقاط الطفل ما بداخلة على الورق خلال الرسم، ومن ثم تحويله إلى تجسيد خلال اسقاط درامي، فقد قام الأطفال بتشخيص الحكايات بالصوت وتعبيرات الوجه وإشارات اليدين، وكأنما يسقطون ما في أنفسهم خلال الحكايات، فقد كان للعبة الحكي دورًا بارزًا في منح الطفل فرصة للبوح بما في ذاته، حيث " يسقط المريض عالمه الداخلي على الأدوات أو العناصر الدرامية التي يستخدمها في العرض، ويظهر بها عالمه الداخلي"(٢٨)
فالبوح والتنفيس عن المشاعر يولد لدى الفرد إحساس بالراحة والاسترخاء، حيث يعمل على التخفيف من الأعباء، فضلا عن كونه كاشفا لما يعانيه الفرد، وقد ساعد الحكي الأطفال على تفريغ المشاعر المكبوتة دون خوف من العواقب كونه في أساسه رسمه يعبر عنها باللغة الكلامية فتحول الحكي إلى قناع يتستر خلفه ويحتمي به، وهو ما يطلق عليه البعد المسافي Distancing، حيث يستخدم في العلاج الدرامي مما يساعد في خلق المسافة من جهة والعلاج من جهة أخرى.

(الجروتيسك ودوره في هدم اسطورية الأزمة)

يعاني الطفل مريض السرطان من أزمة إصابته بالمرض، والانعكاسات السلبية التي حدثت له جرائه واثرت على حياته كافة، فضلا عن معاناة تلقي العلاج والآلام التي يشعر بها، وأزمة الخوف من هذا الوحش المجهول الذي اخترق جسده وحرمه اللعب والمرح، فالسرطان بالنسبة للطفل بمثابة مجهول مرعب، يعمل عقله على تجسيده ذهنيًا من وحي خياله في صورة مبنية على حجم مخاوفه الهائل، وقد يكون ذلك سببًا جوهريا في تفاقم الأزمة وزيادة آثارها السلبية عليه، الأمر الذي جعل الدراسة تسعى لتجسيد هذا المجهول في صورة مادية تثير سخرية الطفل منها وتجعله يدرك ضعفها ، فضلا عن قدرته على مواجهتها والقضاء عليها.

ولكي تتمكن الدراسة من تحقيق ذلك عملت على توظيف فن الجروتيسك، الذي يقصد به " قطعة من الفن الزخرفي تتميز بأشكال بشرية وحيوانية غريبة أو خيالية من أوراق نباتية أو نحوها بحيث تحيل كل ما هو طبيعي إلى بشاعة أو حالة من الكاريكاتيرية مما يحدث مفارقة مضحكة" (٢٩)
ويرى (جميل حمداوي) " أن الجروتيسك يعتمد عل مجموعة من المقومات الفكرية والأسس الذهنية التي تساهم في خلق فرجة جروتسكية هادفة ومن بين تلك المقومات السخرية والغرابة والمفارقة والتقبيح والتعبير الكاريكاتيري واستخدام الأقنعة والتأرجح بين الجميل والقبيح واسترجاع الماضي"(٣٠)

(28) Kool.R.&Lawver. (2017) play the rapy: consideration and applications for the practition psychiatry,7(10), p:19:20

(٢٩) منير البعلبكي "المورد" ط (١٩) (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٥) ص ٤٠٢

(٣٠) جميل حمداوي (د) " الجروتيسك في خدمة مسرح الطفل" المظلة http://laghtiri.arabbgs.com

هذه المقومات الفكرية التي يمتاز بها الجروتيسك مكنت الدراسة من تجسيد ماهية السرطان على مستوى الشكل والمضمون سواء أكان تجسيدًا ملموسًا أم لفظيًا، خلال منح الطفل فرصة المشاركة في الخطوات التنفيذية كافة للوصول إلى مضمون إيجابي نابع من ثنائية الروعة والتشويه، التي استخدمها (بريخت) في مسرحه الملحمي، حيث يعمل على " خلق الأثر التغريبي الذي يحول بين المتلقي واتخاذ قرار انفعالي خلال كشف عناصر الروعة في الصورة المشوهة مما يدفع المتلقي في التفكير والتعقل وصولًا لاتخاذ القرار"(٣١)

هذه القدرات الإبداعية للجروتسك جعلته وسيلة " لدراسة الحالة الإنسانية في إطار البيئة المكانية والزمانية، ومدى تأثير العلاقات وتشكلها، فالجروتسك يتجاوز حالة البعد الفردي للإنسان، حيث يتناول طبيعة العلاقات، وطرق التواصل فيما بينها" (٣٢) مما يجعل فن الجروتيسك الأنسب لتحقيق هدف الدراسة في هدم أسطورية الأزمة خلال تفعيل عدد من الأنشطة المسرحية، وذلك على النحو الآتي:

توظيف الأغنية الجروتسكية في هدم أسطورية الأزمة:

للأغنية دورًا بارزًا في نقل المفاهيم وتبسيطها للطفل، كما أنها تحقق المتعة والبهجة، فضلًا عن قدرتها على تهيئة الطفل لعملية التلقي، مما جعل الدراسة تهتم بتوظيف الأغنية في بداية النشاط المسرحي، لما لها من قدرة كبيرة على منح الأطفال سبل الخروج من المعاناة إلى حالة من البهجة ممزوجة بالهدف الرئيس، حيث هدم أسطورية الأزمة المتمثلة في مرض السرطان) فقد ارتبط هذا الاسم بكم من الخبرات السلبية لدى الطفل وذويه، مما جعل الدراسة تنطلق في رحلتها الجروتسكية من هدم اسطورية هذا الاسم تحويل كلمة (سرطان) إلى كلمة (صرصور) بوصفه نوعًا من التتفيه والتحقير والتصغير والسخرية، وكان ذلك بمثابة بديلا لفظيًا يسعى إلى ترسيخ مفهومًا جديدًا حول الأزمة والتقليل من شأنها، مما انعكس إيجابيًا على الأطفال، حيث نرى في عنوانها معنى كامن يحمل التحدي والاستحالة، وهو ما أكده المضمون خلال كلمات الأغنية، حيث:

صرصور دايمًا مغرور فاكر نفسه مش مهزوم
مع إنه ضعيف وجبان من حقنه يجري على طول
خلي بالك يا صرصور أنا جامد جدًا شطور
وانت ضعيف مهما يكون

وبتحليل كلمات الأغنية نجد الآتي:

- **صرصور دايمًا مغرور** ⟵ فاختيار صفة الغرور مناسبة، لأن المغرور يظن نفسه دائمًا الأفضل والأقوى، إلا أن كل ذلك ليس حقيقيًا، فالواثق من نفسه لن يتأثر بأفعال ذلك المغرور.
- **فاكر نفسه مش مهزوم** ⟵ هذه الجملة تحمل تهكمًا، وهي مكملة لما قبلها، فغروره صور له أنه لن يقهر.
- **مع إنه ضعيف وجبان** ⟵ هذه العبارة بمثابة هدم فعلي لصرصور والوهم الذي تخيله لنفسه فهو ضعيف في حقيقته وجان.
- **من حقنه يجري على طول** ⟵ وقد حددت الكلمات فكرة الجبن في خوفه من الحقن، وأنه يفر هاربًا منه، وهنا تحمل رسالتين:

---

(٣١) برتولد بريخت " مسرح تسلية أم مسرح تعليم" ت: يسري خميس (مجلة المسرح والسينما ع ٥٨، القاهرة، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، ديسمبر ١٩٦٨) ص٣٦

(٣٢) صلاح الدين جباري "بلاغة الجروتسك" ط١ (دمشق، النايا للدراسات والنشر، ٢٠١٩) ص٩-١٠

الأولى: أن الحقن وسيلة للتخلص من الصرصور، والثانية: من يخاف الحقن ضعيف وجبان، وعادة الأطفال في هذه المرحلة يرفضون نعتهم بأي صفة سلبية.

- **خلي بالك يا صرصور**←هذه الجملة تمنح الطفل قوة المواجهة، فبها تهديد ووعيد من الطفل إلى صرصور مما يمنح الطفل ثقة بالنفس وقدرة التغلب على أزمته.
- **أنا جامد جدًا شطور**← تبدأ الجملة بضمير المتكلم (أنا) فعند غناء الأطفال لهذه الجملة تجعل كل طفل يتحدث عن نفسه، ويصفها بأنها (جامدة جدا) بل تبعها كلمة شطور والتي تعني في المعجم" نبيه ماض في أموره، وحسن التخلص وماهر في تدبر أمره، وبارع في الخروج من المأزق"(٣٣) فتعريف كلمة (شطور) في المعجم يتناغم إلى حد كبير مع هدف الأغنية التي تسعى لدعم الطفل، وبعث ثقته بنفسه خلال السخرية وتقزيم وتتفيه أزمته.
- **وانت ضعيف مهما يكون**←تختتم الأغنية بقرار صريح من الأطفال مبدوء بضمير مخاطب، وكأن الأطفال يشيرون بأصابعهم لهذا الصرصور معلنين ضعفه مهما كان الأمر أو التأثير أو الأثر وفي تكرار الجملة تأكيد، فمهما كان الحقن مؤلما والعلاج يؤثر على الشكل ويصيب صاحبه بالإرهاق، فهي مرحلة ستنتهي لا محالة، هذا اليقين لابد أن يكون الأطفال على قناعة تامة به لأنه يدعمهم ذاتيًا، وينعكس عليهم صحيًا بشكل إيجابي كبير.

ولم تقتصر أهمية الأغنية على كم الدلالات التي تنقلها خلال الدعم النفسي فحسب، بل حققت جوًا من المرح والسعادة فخفة وسهولة اللحن، سهل على الأطفال حفظها وترديدها بشكل جماعي وفردي، والهدف الأكثر أهمية ما حققته الأغنية من تتفيه وسخرية حول ماهية المرض، فأصبح يثير السخرية والضحك بعدما كان يثير الذعر والحزن. انظر الشكل رقم (١٠).

التجسيد الجروتسكي للمرض ودوره في هدم اسطورية الأزمة:

خلال ما سبق اتضح إمكانية منح الطفل أبعادًا أخرى للتفكير وتغيير انطباعه إلى الإيجابية، خلال توظيف الجروتيسك الذي لا يقتصر على" حالة من الضحك تصل حد الميوعة، بل حالة جادة تصل إلى تنوير عقل المتلقي، فليس الهدف السخرية فحسب، بل حالة انفصامية بين ما حدث وما يحدث وما سيحدث"(٣٤) وهو ما حققته الأغنية خلال إثارة عقل الطفل وزلزلة خبراته حول اسطورية المرض والسخرية منه خلال التناول الجروتسكي، الذي يشير إلى " حالة تحويلية، وليست نمطية، بل يتشكل ليؤسس رؤى أخرى تفتح أسئلة وصراعًا جدليًا بين الذات والآخر"(٣٥)

وهو ما عملت الدراسة على تحقيقه خلال فتح حوارًا مع الأطفال حول تصوراتهم لشكل (صرصور) فبدأ كل منهم يصف شكل عيونه، أسنانه، أنفه.. وقد وضع الأطفال في اعتبارهم أنه أقرب لشكل الخلية خلال وصفهم بأنه له شكل دائري، فجاء التصميم على هيئة قناع جروتسكى أثار سخرية الأطفال ودهشتهم، حيث قامت الدراسة بتقسيم الأطفال إلى مجموعات، ووزع عليهم أوراق ملونة ولاصق وألوان، وبدأت كل مجموعة تعمل على تكوين (صرصور) بأشكال متنوعة على مستوى الشكل فضلا عن ما اتسم به كل منها بملامح مختلفة نقلت مضمونًا يتنوع ما بين الغضب والبكاء والوحشة وغيرها من الحلات التي عبر عنها التجسيد الجروتسكي للقناع، ثم بدأ كل طفل يستخدم القناع الخاص به، ليعبر خلاله عن حالة (صرصور) مثال ذلك:

---

(٣٣) قاموس المعاني الجامع http://almaany.com/av/duct/av-art/.

(٣٤) لطيفة بلخير "اشتغال الجسد الجروتسكي في المسرح بين النص الدرامي والملحمي"(الشارقة، الهيئة العربية للمسرح، ٢٠١١) ص٨

(٣٥) راندا حلمي (د) " الجروتسك بين الفكر والفرجة في مسرح الطفل " (مجلة كلية التربية النوعية، جامعة المنوفية، إبريل ٢٠١٦) ص١٠٩

طفل (١) أنا صرصور أنا خائف الحقنة بتوجعني
أنا ضعيف أنا جبان
طفل (٢) أنا صرصور أنا غضبان الأطفال مش خايفين مني
الأطفال أبطال الأطفال أقوى مني
طفل (٣) أنا صرصور أنا زعلان الأطفال أقوى مني
أنا ضعيف أنا تعبان

وبملاحظة بعض ما قدمه الأطفال من كلمات ارتجالية، خلال تشخيصهم لشخصية (صرصور) وتعبيرهم عن وجهة نظرهم الجديدة تجاهه، فجاءت كلماتهم مستوحاة من كلمات الأغنية وما تم خلالها من حوار ومناقشة فضلا عن منح كل طفل فرصة التعبير عن معاناته، فكان لذلك أثرًا إيجابيًا على الأطفال. انظر الشكل رقم (١١).

(التفكير الإيجابي ودوره في تخفيف الأزمة)

يقصد بالتفكير الإيجابي" أن يتعامل الفرد مع المواقف المزعجة بطريقة أكثر إيجابية، ويعتقد أن الأفضل سيحدث، وليس الأسوأ"(٣٦) حيث يبدأ التفكير الإيجابي من حديث الشخص مع نفسه،" ويقصد به توارد وتدفق الكثير من الأفكار المختزنة لدى الفرد، ودائمًا تدق في رأسه، وعادة ما تكون إما سلبية أو إيجابية، أو قد يكون الحديث مع النفس نتيجة العقل والمنطق، وقد يأتي حديث آخر مع النفس نتيجة مفاهيم خاطئة تشكلت لديه بسبب عدم المعرفة الكاملة ونقص المعلومات، أو توقعات ناتجة عن أفكار مسبقة عما قد يحدث." (٣٧) هذه المصادر المتنوعة للحديث مع النفس هي ذاتها ما يواجهها الأطفال مرضى السرطان، وترى الدراسة أن الأكثر تأثرًا بها هم من لديهم قلة في المعلومات أو معلوما خاطئة أو تأثروا بمعلومات مسبقة.

وقد سعت الدراسة منذ البداية إلى تعديل اتجاه الأطفال إلى الإيجابي ليس هذا فحسب، بل عملت على منحهم سبل التفكير الإيجابي، باعتباره وسيلة مهمة ذات أثر إيجابي على آلام المرض ومعاناته، حيث " يواصل الباحثون جهودهم في اكتشاف آثار التفكير الإيجابي والتفاؤل على الصحة، وما يحققه من منافع صحية وذلك على النحو الآتي:

خفض معدلات الاكتئاب، تقليل الشعور بالتوتر والألم، مقاومة عالية ضد الأمراض، تقليل أخطار الوفاة الناجمة عن السرطان، تحسين مهارات التكيف خلال الأوقات الصعبة والتوتر" (٣٨)

فالتفكير الإيجابي لا يعني تجاهل الأزمة أو إهمالها، بل يتيح للفرد التأقلم معها بطريقة أفضل خلال المواقف التي يتعرض لها، وتسبب له التوتر والقلق، فينعكس ذلك عليه بتقليل حدة التوتر والقلق، ومن ثم تقليل الآثار الصحية السلبية التي يسببها الضغط النفسي على الجسد.

ومن ثم اهتمت الدراسة بتقديم لعبة مسرحية بمشاركة الأطفال تعمل على علاج أسباب التفكير السلبي لديهم، خلال دعم التفكير الإيجابي، والبحث عن كل جميل، يهدف الاستمتاع والتفاؤل والشعور بالأمان، وذلك خلال التركيز على النعم ونقاط القوة لدى الأطفال مقارنة بالأزمة، وذلك على النحو الآتي:

(36) Forte AJ, etal. The impact of optimism on cancer and post-surgical cancer pain IA system review. Journal of pain and symptom management 2021, dor: 10.1016/s. Spain Samman 2021.ag.008

(٣٧) نفسه.

(38) Rosen fled AJ. The neuroscience of happiness and wellbeing child and a doles cent psychiatric clinics of North America .2014, 28: 137.

مسرحية الحمد لله ودورها في دعم التفكير الإيجابي:

بنت الدراسة فكرة نص (الحمد لله) على أن هناك " حل لكل مشكلة، فالقناعة والإيمان بهذه الجملة يبعث على التفاؤل، ويجعل الفرد يغير تفكيره إلى إيجابي خلال تغيير الأفكار مع التحلي بالإيمان والإرادة"(٣٩)

ففكرة إدراك الطفل ذاته ومعرفة أبعادها، وإدراك قدراته ومهاراته، والبحث عن توظيفها بصورة إيجابية، يفتح له مجالات من التعايش والأمل، فضلا عن تناسي الأزمة في ظل الإنتاج المستمر المثمر، وهذا ما حققه النص، وذلك على النحو الآتي:

قصة النص:

تدور أحداث النص بين طفلة وأفكارها السلبية التي تسيطر عليها، فهي تشعر بالنقص كونها لا تقدر على المشي مثل أقرانها، فقد أصابها مرض جعلها تسكن كرسيها المتحرك، وتبدأ الأحداث بإعلان الطفلة عن حزنها وإحساسها بالعجز، فنجدها تنقل هذه الأفكار السلبية لذاتها وإلى والدتها التي تستنكر موقفها، وتؤكد لها أنها مخطئة ، وأنها تمتلك الكثير من المميزات التي تجعلها تستحق الفخر بنفسها، وتسعد بما لديها من نعم، وتطلب منها أن تفكر جيداً في تلك المميزات وتدركها بذاتها، فتترك الأم طفلتها في حيرة، وتبدأ الطفلة في التفكير حتى تذهب في نوم عميق، فيراودها حلم غريب تلتقي فيه مع الحواس الخمس التي تغني لها وتحاورها في كم النعم والمهارات التي تمتلكها، فتشعر بالسعادة والرضا، وعندها تدرك مدى ضآلة أزمتها في مقابل ما تمتلكه من أسباب السعادة.

النموذج ودوره في إكساب الأطفال التفكير الإيجابي:

قدم النص نموذجًا لطفلة لديها أزمة، وتم التعامل مع تلك الأزمة من خلال الإقناع وإعمال العقل، والتفكير في كيفية إدارة الشعور بالألم بطرق إيجابية، بهدف منح الأطفال فرصة للمتابعة وتلقي التفاصيل، ومن ثم العمل على التقليد والمحاكاة حيث يؤكد (جورج إم زدا) George.M. ghazda " أن النموذج يقوم أساسًا على فكرة تقليد الشخص لسلوك الآخرين، حيث يتعلم الفرد خلال الملاحظة"(٤٠) وهي طريقة مهمة لتعليم الأطفال الصواب والخطأ، حيث تعتبر من أفضل الطرق التي يتعلم بها الأطفال السلوك المرغوب خاصة إذا كان الطفل في جماعة، وهو ما أكده (ماسون وهار فيل) Masson, Harvill " أن النموذج من أفضل طرق لتعليم الطفل السلوك المرغوب فيه بشكل جماعي"(٤١)

ولكي يحقق المسرح هدفه في تغيير سلوك الفرد يحتاج البحث عن طريقة تجعل الفرد قادرًا على الفهم والعمل بما فهمه ويعتمد في ذلك على خلق النموذج الدرامي القادر على التأثير في الفرد، وقد لاحظت (ألبرت باندورا) Albert Bandura " أن الناس تتعلم أساليب السلوك كيف تغيرها من خلال ملاحظة الآخرين وفي المسرح تقدم النماذج السلوكية المختلفة الإيجابية والسلبية، والأهم لحظات التحول لدى هذه الشخصيات"(٤٢) الأمر الذي يجعل المتلقي يقتنع أن التغيير يمكن حدوثه من أي فرد وبقوة.

فالطفلة في النص لم يطلق عليها اسم معين، حتى يشعر كل طفل أنها قد تمثله ولديها مشكلة تسبب بها إصابتها بمرض ما، وهو ما يشعر به كل طفل وطفلة، فلكل منهم احساسه

---

(٣٩) إيمان البدري " كيف تغير أفكارك للإيجابية في خطوات بسيطة" ahram.org.eg/News/3/87391/aspx.2012

(٤٠) جورج إم غا زادا وآخرون "نظريات التعلم" ت: علي حسين حجاج (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون، ١٩٨٦) ص٢٤

(٤١) نفسه ص ٢٦

(٤٢) كمال الدين حسين (د) "الدراما والمسرح في العلاج النفسي"، سبق ذكره، ص٩٤

الخاص بالانعكاسات السلبية للمرض الذي ألم به، وشكوى الطفلة لوالدتها من شعور النقص والحزن، قد يكون صورة مطابقة لواقع كل الأطفال -عينة الدراسة- مما خلق تناغمًا بين الأطفال وبطلة القصة / النموذج.

الطفلة: يا ماما أنا زعلانه
الأم: ليه يا حبيبتي زعلانه ليه؟
الطفلة: كل أصحابي قادرين يجروا ويلعبوا لكن أنا دايمًا تعبانة.
الأم: انت كمان عندك حاجات كتير ومميزات جميلة.
تقدري تعملي بيها أجمل حاجات.
الطفلة: لكن أصحابي أسعد مني.
الأم: ده برده كلام، انت عندك نعم كتير
تفرحي بيها وتسعد قلبك
نامي يا قلبي واحمدي ربك
بكره تبقي أميرة جميلة
وتحققي كل الأحلام. (٤٣)

يتضح من الحوار السابق أن الطفلة تعاني أزمة صحية ما تعوق قدرتها على ممارسة الأنشطة واللعب، وهو ما يعانيه الأطفال -عينة الدراسة- إلا أن رد فعل الأم لم يكن بالشفقة على طفلتها، بل أثارة انتباهها وساعدتها على إعمال التفكير في كم النعم التي تمتلكها والتي يمكن أن تجعلها سعيدة أذا أحسنت توظيفها، وهو تفكير إيجابي يحقق للطفلة فرصة جديدة لإدارة الأزمة بصورة أكثر إيجابية.

النموذج ودوره في إكساب الأطفال التفكير الإيجابي:

يتبنى النص تقنية الحلم في طرح رسالته، حيث تمتاز تلك التقنية بقدرتها على الولوج إلى عالم اللامعقول وجعله معقولا ومنطقة اللا منطق، فضلا عما يتمتع به عالم الأحلام من سحر خاص، فقد اهتم النص خلال هذه التقنية تجسيد الحواس بصورة مغايرة للواقع، تتخذ من المبالغة والتركيز على بعض الدلالات وسيلة للتغيير الإيجابي للسلوك السلبي، "فأحلام الأطفال بعد سن الخامسة تكون متعلقة بالبيئة المحيطة بهم، ولا يكون الطفل مركز حلمه، فيرى معظم الشخوص ومكونات البيئة، وكثيرًا ما يشوب هذه الأحلام حالة من الكدر الذي يؤرق الطفل وعادة تكون توعًا من المواجهة لمخاوفه" (٤٤)

فنجد الطفلة ترى نفسها في الحلم جالسة في حالة حزن، ولا نستطيع الحركة واللعب كحالتها في الواقع، إلا أنها تنظر في مرآه، فترى نفسها في حالة من السعادة، وحولها مجموعة من الألعاب والألوان والورود، بالرغم من وجود المعاناة ذاتها، حيث لا تستطيع الحركة بسبب المرض، فالصورة المنعكسة في المرآه هي النموذج الإيجابي الذي يجب أن الذي يجب أن تكون عليه الطفلة في واقعها، حيث أظهره النص بصورة تثير البهجة، وتدعو للتقليد والمحاكاة لأنه الأفضل.

تبدأ صورة الطفلة في المرآه تغني في سعادة بأدواتها وألعابها، فتظهر مجموعة الحواس الخمسة تغني معها، حيث تقدم كل حاسة ما تمتلكه من مهارات وقدرات تمكن الطفلة من الاستمتاع بالحياة وممارستها بشكل أفضل مثال ذلك:

---

(٤٣) شيرين الجلاب /الباحثة "نصوص مسرحية للتوعية بذوي الاحتياجات الخاصة" (الإسكندرية، دار الوقاء لدنيا الطباعة والنشر، ٢٠٢١) ص ٣٠

(٤٤) ابن سيرين " تفسير الأحلام هل يحلم الأطفال؟ https://www.wb.elmstbo.com.

الطفلة واليدين تغنيان:

عندي إيدين شطوره كتكوته صغيورة
بمسك بيها أدواتي بكتب بيها واجباتي
وبسرح بيها شعري وأنضف أسناني (٤٥)
وارسم بيها لوحاتي يا بختي بألواني

يتضح من غناء الطفلة واليدين استخدام ضمير المتكلم، فالطفلة تغني وتعلن ما تمتلكه من مهارات تقدمها لها يديها، فهي تدركها وتسعد بها، ويعد استخدام ضمر المتكلم وسيلة من وسائل تحقيق الهدف / التفكير الإيجابي سواء أكان للطفلة النموذج أم للطفل المتلقي -عينة الدراسة-.

وتستمر باقي الحواس تؤدي أغنيتها بالطريقة نفسها، وتوضح كل منها كم النعم والقدرات والمهارات التي تمتلكها الطفلة، وتمكنها من أن تحيا حياة سعيدة.

فتجسيد الحواس تجسيداً لمفهوم النعم التي يمتلكها الطفل خلال مخاطبته بمفردات يدركها في واقعه، ويستشعرها في ذاته فعملت على خلق فكر منطقي يعمل على تبسيط ماهية التفكير الإيجابي للطفل.

كما أن ظهور الطفلة في صورتها المنعكسة في المرآه بنفس معاناتها في الواقع، مع اختلاف حالتها النفسية يؤكد للطفل أنه بالرغم من المعاناة يمكن تحقيق السعادة والإيجابية خلال تغيير نظرتنا وطرق تفكيرنا.

فكل طفل من عينة الدراسة يمتلك حواساً خمس لكل منها قدراتها الخاصة التي تمكنه من القيام بالكثير من المهارات التي تحقق الإيجابية، ومن ثم يتقلص حجم الأزمة مقارنة بما يمتلكه من مقومات وأسباب الشعور بالسعادة، وهو ما تحقق في نهاية النص، حيث عودة الطفلة من عالم الأحلام إلى عالم الواقع، وهي تدرك ماهية التفكير الإيجابي، حيث التركيز على ما تمتلكه من نعم متمثلة الحواس الخمسة وما تقدمه لها كل حاسة من قدرات ومهارات تمكنها من السعادة.

وقد اهتمت الدراسة بتقديم تلك المسرحية لتمكين الأطفال -عينة الدراسة- من توظيف مهارات التفكير الإيجابي وتفعيلها خلال تجسيد النص في عرض مسرحي تفاعلي، وذلك على النحو الآتي:

المسرح التفاعلي ودوره في تعزيز رسالة النص:

يقصد بالمسرح التفاعلي" المسرح الذي يكسر فيه الجدار الرابع، الذي يفصل بين العرض والجمهور جسدياً ولفظياً، حيث يشارك المتلقي في إعداد العرض المسرحي، ويكون متفاعلا ومشاركا في اللعبة المسرحية"(٤٦)

حيث اهتمت الدراسة بتقديم العرض المسرحي خلال مسرح الدمى القفازية (تم تشخيص شخصية الطفلة بها) والورقية (تم تشخيص الحواس الخمسة بها)، التي تتمتع بالبساطة والوضوح وسهولة التحريك، فضلا عن قدرتها على جذب الانتباه وإثارة الفضول تجاه الحدث المسرحي، هاذا الاختلاف في نوع الدمى كان له دوراً بارزًا في الولوج لعالم الطفل واختراقه، خلال التمييز بين عالم الخيال/الحلم وعالم الواقع/ الحقيقة ، الأمر الذي منح الطفل القدرة على التركيز على تفاصيل كل شخصية سواء الطفلة أو الحواس بهدف استيعاب مبررات السعادة والتفكير الإيجابي.

مثال ذلك:

الطفلة والعين تغنيان: عندي عينين جميلة ورموشها طويلة
بيها بشوف الدنيا ألوانها حاجة تانية
نورك نور عمري وفرح لي قلبي
شفت جمال الدنيا يا جمالك ياعيوني. (٤٧)

(٤٥) شيرين الجلاب /الباحثة "نصوص مسرحية للتوعية بذوي الاحتياجات الخاصة" سابق ذكره، ص٣٢

(٤٦) تاتيانا بروخو روفا " المسرح التفاعلي في روسيا" مجلة الدراما المقارنة، cdr.2014.0008 ص٥٩

بعد غناء الدميتين القفازية والورقية تقومان بفتح حوارًا مع الأطفال، خلال طرح عدد من الأسئلة:

مثال ذلك: يا ترى أي فايدة العينين؟
ممكن نعمل إي بالعين؟
هل العين نعمة كبيرة؟ لماذا؟

فيبدأ الأطفال الإجابة عن الأسئلة بصورةٍ حماسية ارتجالية، حيث ينقل كل منهم ما لديه من خبرات مختزنة حول فوائد العينين، فضلًا عن تقديم بعض المواقف التي كان للعينين، دورًا في انقاذ الطفل أو الحفاظ على سلامته أو منحه سببًا من أسباب السعادة.

إن مشاركة الأطفال الأحداث داخل عالم الحلم جعلهم جزءًا منه، بل منحهم الشعور بأنهم أصحاب هذا الحلم، فأصبح الحلم يعبر عن كل فرد منهم بصورة كبيرة، مما جعل التفاعل أعمق وأكثر إيجابية.

وتستمر الدراسة في تجسيد مفردات عالم الحلم خلال غناء الطفلة والحواس، وفتح الحوار مع الأطفال، وقد لاحظت استجابة الأطفال للأحداث وتفاعلهم معها. انظر الشكل رقم (١٢).

الطفلة: ياااه حلم غريب كان جميل قوي فعلًا ربنا عطاني نعم كثير
صحيح إني تعبانة مش بقدر أمشي لكن بشوف وبسمع وبتكلم
وكمان صوتي جميل وبغني وبرسم أجمل لوحات
فعلا الحياة فيها حاجات كتير تخليني سعيدة وفرحانة
الحمد لله (٤٨)

في نهاية العرض المسرحي نجد الطفلة /الدمية لا تكتفي بعرض تجربتها على الأطفال، بل تشاركهم هذه التجربة وتطلب منهم التعليق عليها، خلال طرح عدد من الأسئلة، مثال ذلك:

هل ممكن نحول الحزن إلى سعادة وفرحة؟
كل واحد فينا عنده نعمة كبيرة ممكن نذكرها؟
يا ترى إزاي ممكن تكون فرحان، حتى لو في حاجه مزعلاك؟

هذه الأسئلة البسيطة كانت وسيلة لمنح الطفل فرصة التعبير عن رسالة العرض وفق وجهة نظره ومدى قناعته بالفكرة.

وتنهي الدمية نقاشها مع الأطفال بغناء أغنية العرض، التي قدمتها الحواس في عالم الأحلام إلا أنها تقدمها مع الأطفال في عالم الواقع لتثبت أن السعادة والنظرة الإيجابية حقيقة ملموسة علينا أن ندركها. انظر الشكل رقم (١٣).

(فنون المسرح ودورها في تحقيق الاستدامة)

إن تحقيق استدامة الفكرة واسمرارها، وتحولها إلى أسلوب حياة يمارسه الأطفال والقائمين عليهم، بهدف استمرار الدعم النفسي وإيجابية التفكير والتخلص من السلوك الانسحابي، وذلك يتطلب مشاركة القائمين على الأطفال ممارسة الأنشطة المبنية على العلاج الدرامي، وذلك على النحو الآتي:

تتجدد معاناة الطفل مريض السرطان مع كل جرعة علاج أو شعور بالعجز والألم ومن ثم صعوبة ممارسة اللعب والأنشطة المختلفة، مما يستدعي استمرار دعمه والتوجه إليه بأساليب متنوعة تنتزعه من معاناته، وتسمح له بالتحليق في عوالم إبداعية يثبت خلالها قدراته ومهاراته، التي تحقق السعادة والإيجابية، ولكي يتمكن من ذلك يلزم مساعدته على البوح بشكل مستمر ليفرغ ما يحبطه ويؤرقه ويسبب له الشعور السلبي، ولكي يتم معاونته على ذلك لابد من

(٤٧) شيرين الجلاب /الباحثة "نصوص مسرحية للتوعية بذوي الاحتياجات الخاصة" سابق ذكره، ص٣٢

(٤٨) نفسه، ص٣٣

القائمين عليه مشاركته ومساعدته، لذلك سعت الدراسة لنقل خبرة توظيف الدمى لتمكين الأطفال التعبير عن ذواتهم والتفريغ للمشاعر المكبوتة، خلال تدريب القائمين عليهم، وذلك على النحو الآتي:

- **تصنيع الدمى الورقية:**

شارك الأطفال القائمين عليم في ورشة لتصميم الدمى الورقية وتنفيذها، حيث اختار الأطفال الأشكال وقاموا بتلوينها، وتحويلها إلى دمية ورقية مثبته على عصا خشبية. انظر الشكل رقم (١٤).

- **توظيف الدمى للتعبير عن الذات:**

قدم الأطفال مشاركة القائمين عليهم مواقف ارتجالية، عبروا خلالها عن الدمية التي قاموا بصناعتها خلال طرح مواقف مرتجلة مبنية على الإبداع الشخصي لكل طفل، حيث يقصد بالارتجال " الإبداع اللحظي أو الفوري للأعمال الدرامية، وهو أهم أكثر أشكال اللعب الدرامي، الذي يمكن رؤيته في الجماعات البدائية وفي لعب الأطفال، حيث يعتمد على توظيف المواهب التلقائية للطفل بقصد إرشاده لعدد من النماذج السلوكية والمهارات والقدرات، التي يعتقد أنها ذات فائدة لنموهم"[٤٩]

وقد وظفت الدراسة عرضًا ارتجاليًا بعنوان (أنا سعيد) خلال عدد من الخطوات على النحو الآتي:

تم توظيف الدمى الورقية التي شارك الأطفال القائمين عليهم تصنيعها، فضلا عن عدد من الدمى القفاز، وقد استخدم مسرح مثبت على طاولة، حيث يمكن الطفل بمعاونة الدراسة والقائمين عليه من تقديم مشاهد ارتجالية بحرية دون خشية المواجهة، ثم قامت الدراسة بمساعدة القائمين على الطفل في مناقشة الأطفال في الأفكار التي تتبنى ماهية السعادة وكيفية تحقيقها، وقد تبلورت أفكار الأطفال حول:

- وصف الأنشطة والألعاب التي تحقق لهم السعادة.
- وصف دور الأسرة في تحقيق السعادة والدعم.
- وصف مواقف تثير السعادة.
- وصف الأحداث اليومية.

وقد قام الأطفال بتقديم المشاهد الارتجالية، خلال اختيار دمية تناسب الفكرة التي عبر عنها كل منهم. انظر الشكل رقم (١٥).

- **الواجب المنزلي ودوره في تحقيق الاستدامة:**

أبرمت الدراسة اتفاقا مع الأطفال وذويهم والقائمين عليهم القيام بعدد من الخطوات لتحقيق الاستدامة، حيث طلبت من الأطفال الاحتفاظ بالدمى الورقية، والأقنعة (صرصور، الوجه المبتسم، القلب السعيد، الدواء القوي، الجنود) وطلب من كل منهم تثبيتها في حجرته على المرآه وينظر إليها كل صباح قائلا:

انت صرصور انت ضعيف وجبان
أنا قوي أنا سعيد
عندي قلب فرحان وابتسامه جميلة
الحقنة فيها جنود معاهم قنابل حتفجر سرسور
أنا بطل أنا شجاع انظر الشكل رقم (١٦).

(٤٩) فيولا سيولين " الارتجال للمسرح " ت: سامي صلاح، القاهرة، أكاديمية الفنون، ١٩٩٥، ص٣١، وانظر في جريدة مسرحنا " الارتجال في مسرح الطفل "ع٧٥٩. مارس ٢٠٢٢ goc.gov.eg

وقد طُلب من ذويهم معاونتهم على تنفيذ الواجب المنزلي، ودعمهم والامتناع عن نظرات الشفقة واليأس، وبث روح البطولة ووصف الألم /الحقن بأنه ألم إيجابي سيخلصهم من ألم سلبي.

كما أكدت على القائمين على الطفل في المؤسسة العلاجية الاهتمام بتفعيل الأنشطة المسرحية لأهميتها في علاج الطفل بواسطة الدراما.

هذا التكامل المبني على الدعم النفسي يعد وسيلة فاعلة، لتحقيق الاستدامة ومن ثم التفكير الإيجابي وتحقيق التفاع والحد من السلوك الانسحابي ومن ثم المساعدة في العلاج الجسدي، حيث إن السعادة وحب الذات والثقة بالنفس تساعد الطفل على رفع كفاءة الجهاز المناعي الذي بدوره يقاوم المرض الجسدي.

وبذلك قدمت الدراسة ومضة إبداعية مبنية على العلاج الدرامي في محاولة جادة، لتقديم الدعم النفسي والاجتماعي للطفل مريض السرطان والقائمين عليه للتخلص من الآثار السلبية الناجمة عن المرض، ومن ثم تفاعل إيجابي.

خاتمة

تعرضت الدراسة لدور العلاج الدرامي في تقديم الدعم النفسي لتعديل سلوك الأطفال مرضى السرطان، للحد من السلوك الانسحابي فضلا عن دعم التفكير الإيجابي لتمكينهم من التفاعل الاجتماعي ونبذ اليأس ومواجهة المواقف خلال التركيز على الإيجابيات.

وقد انتهت الدراسة إلى:

- تُأثر سمات الأطفال مرضى السرطان بشكل كبير في سلوكهم وتفاعلهم وتقبلهم لذاتهم والآخر بشكل سلبي، مما يؤدي إلى الانسحاب والعزلة والاغتراب عن الواقع المعيش، وسيطرة عوالم افتراضية وحشية حول مصيرهم في مواجهة أزمة المرض والمعاناة.
- يعد العلاج الدرامي وسيلة إبداعية غير مباشرة تسمح باختراق الذات المكلومة، وإدراك معاناتها، ومحاولة التعامل معها خلال تقنيات مسرحية متنوعة، تلائم الفروق الفردية كافة وفق المراحل العمرية.
- فعلت الدراسة عددًا من الأنشطة المسرحية المبنية على العلاج الدرامي لتقديم الدعم النفسي للأطفال مرضى السرطان -عينة الدراسة- حيث توصلت إلى:

- إن توظيف المنهج العقلي والاستبصار في العلاج الدرامي ساعد على اختراق ذات الطفل، واستكشاف الآثار السلبية التي سببها المرض.
- كان للدمى دورًا بارزًا في اكتشاف حجم الأزمة، ومعاونة الطفل على التنفيس عن المشاعر المكبوتة.
- كان لتوظيف الألعاب المسرحية دورًا في كسب ثقة الأطفال، وكسر الحواجز، وفتح آفاق التفاعل بينهم وبين الدراسة والقائمين عليهم.
- تمكن توظيف فن الجروتيسك خلال تقنية الروعة والتشويه من هدم أسطورية الأزمة، خلال التجسيد الساخر شكلا ومضمونًا.
- إن المحاكاة الساخرة في تجسيد المرض التي وظفتها الدراسة، خلال استخدام الأغاني والأقنعة والحكي، وغيرها من فنون المسرح وتقنياته، والتي كانت بمثابة علامة أيقونية ساعدت الطفل على استدعائها في تجسيد مخاوفه بصورة ساخرة تفهت من حجم الآثار الناجمة عن مرضه، ومكنته من التعامل معها عبر استخلاص السعادة من رحم الألم.

- تعد مشاركة الطفل في الخطوات الإجرائية للعبة المسرحية كافة وسيلة جادة في تحقيق التفاعل الاجتماعي، والحد من السلوك الانسحابي لديهم.
- كان للواجب المنزلي، وكذلك مشاركة القائمين على الطفل دوراً في تحقيق الاستدامة واستمرارية الفكرة بهدف تحويلها لأسلوب حياة يدعم الطفل خلال رحلة العلاج.
- تعتبر الأفكار الإبداعية للعلاج الدرامي وسيلة لانتزاع الفرد من واقعه الأليم، ومنحه مساحة افتراضية بمعطيات واقعه تمكنه من قراءة أزمته بشكل إيجابي يعينه على مواجهتها، والتعايش معها خلال تعديل الاتجاه إلى الإيجابية.

□

المراجع والمصادر

أولًا: المصادر والمراجع العربية والمترجمة:

١. ابن سيرين " تفسير الأحلام هل يحلم الأطفال؟ https://www.wb.elmstbo.com.

٢. أبو الحسن سلام(د) "مسرح الطفل" (الإسكندرية دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ٢٠٠٤)

٣. أحمد صقر(د)"مسرح الأطفال" (الإسكندرية، مركز الكتاب،٢٠٠٤)

٤. إيمان البدري " كيف تغير أفكارك للإيجابية في خطوات بسيطة"2012.aspx /ahram.org.eg/News/3/87391

٥. أيمن شتال "الدهشة تدفع الأطفال للتعلم" سكاي نيوز عربية ٢٠١٦ https//: sky news Arabia .com

٦. برتولد بريخت " مسرح تسلية أم مسرح تعليم" ت: يسري خميس (مجلة المسرح والسينما ع ٥٨، القاهرة، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، ديسمبر ١٩٦٨)

٧. بيتر سليد "دراما الطفل"، ت: كمال زاخر لطيف، (الإسكندرية، منشأة المعارف،١٩٨١)

٨. تاتيانا بروخو روفا " المسرح التفاعلي في روسيا" مجلة الدراما المقارنة، cdr.2014.0008

٩. جر تـرود دريسكول " كيف تفهم سلوك الأطفال" ت: رشيد خام منصور (القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٤)

١٠. جريدة مسرحنا " الارتجال في مسرح الطفل "ع٧٥٩. مارس ٢٠٢٢ goc.gov.eg

١١. جميل حمداوي (د) " الجروتيسك في خدمة مسرح الطفل" المظلة http://laghtiri.arabbgs.com

١٢. جورج إم غا زادا وآخرون "نظريات التعلم" ت: علي حسين حجاج (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون، ١٩٨٦)

١٣. الجوهرة العجابي "مفهوم التشجيع" ٢٠٠٧، مؤسسة مداد https//: midad.com

١٤. حسن مصطفى عبد المعطي " الاضطرابات النفسية في الطفولة والمراهقة" (القاهرة، الأنجلو المصرية، ٢٠٠٣)

١٥. دعاء عبده عبد الوارث " فاعلية برنامج إرشادي عقلاني انفعالي في تحسين التأثيرات النفسية والمعرفية والاجتماعية لدى عينة من الأطفال مرضى السرطان" (القاهرة، مجلة القراءة والمعرفة، ع ١٢٧، ٢٠١٢)

١٦. راندا حلمي (د) " الجروتسك بين الفكر والفرجة في مسرح الطفل " (مجلة كلية التربية النوعية، جامعة المنوفية، إبريل ٢٠١٦)

١٧. شيرين الجلاب /الباحثة "نصوص مسرحية للتوعية بذوي الاحتياجات الخاصة" (الإسكندرية، دار الوقاء لدنيا الطباعة والنشر، ٢٠٢١)

١٨. صلاح الدين جباري "بلاغة الجروتسك" ط١ (دمشق، النايا للدراسات والنشر، ٢٠١٩)

١٩. عماد عبد الرحمن زغلول " الاضطرابات الانفعالية والسلوكية لدى الأطفال" (الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦)

٢٠. فيولا سيولين " الارتجال للمسرح " ت: سامي صلاح، القاهرة، أكاديمية الفنون، ١٩٩٥

٢١. قاموس المعاني الجامع .http://almaany.com/av/duct/av-art/

٢٢. كمال الدين حسين (د)" مدخل في العلاج بالدراما" (القاهرة، المجلس العربي للطفولة والتنمية، مجلة الطفولة والتنمية ع ٦، ٢٠٠٢)

٢٣. لطيفة بلخير "اشتغال الجسد الجروتسكي في المسرح بين النص الدرامي والملحمي"(الشارقة، الهيئة العربية للمسرح، ٢٠١١)

٢٤. محمد السقا عيد " هل الألم شر محض؟" https//: Islam online .net

٢٥. مقتبس في: كمال الدين حسين (د) " الدراما والمسرح في العلاج النفسي " (القاهرة، دار المعارف، ٢٠١٥)

٢٦. منير البعلبكي "المورد" ط (١٩) (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٥)

ثانيًا: المصادر والمراجع الأجنبية:

1. American Academy of pediatrics (2012) patties, and family centered care and the pe dietician, srole126(2)
2. Ferrell, b (1997) Quality of life A moong long term cancer survivors Diss. Int, Vol. llano (4)
3. Forte AJ, etal. The impact of optimism on cancer and post-surgical cancer pain IA system review. Journal of pain and symptom management 2021, dor: 10.1016/s. Spain Samman 2021.ag.008
4. Gin spurge, K.R. (2017) The psychological significance of play with imaginary .com pinions in early childhood learning and behavior, 45(4).
5. Hemi Wyse. Drama Therapy: Its method and meaning drama therapy. Journal. VSN2 Autumn 1981 https://www.artsinmedicinefellowship.com
6. Kool.R.&Lawver. (2017) play the rapy: consideration and applications for the practition psychiatry,7(10)
7. Kou Kuriakose, Tzeha, L, pantelidou, p8. Taslog Lido, A, (2015) The important of play daring hospl to clization of children Materia ,27(6)
8. Lin.y.8 Bratton's (2015), Meta. Analytic review of child. Centered play therapy approaches.93. (1)
9. Montessori, M.O(1973) The Montessori Method.com bridge. MA: Bentley.
10. Peter son, C.M.B. et, al (2002) Country Living Isolation Issues University of Minnesota, Ex tension service Number 983
11. Rosen fled AJ. The neuroscience of happiness and wellbeing child and a doles cent psychiatric clinics of North America .2014.

(ملحق الصور)

شكل رقم ١

شكل رقم ٢

شكل رقم ٣

شكل رقم ٤

شكل رقم ٥

شكل رقم ٦

شكل رقم ٧

شكل رقم ٨

شكل رقم ٩

شكل رقم ١٠

شكل رقم ١١

شكل رقم ١٢

شكل رقم ١٣

شكل رقم ١٤

شكل رقم ١٥

شكل رقم ١٦